الأبطـال هنـدوس والأشرار مسـلمون.. "بوليوود" في عهد اليمين الهندوسي

كتبه سامانث سوبرامانيان | 13 أكتوبر ,2022

ترجمة وتحرير: نون بوست

في صيف سنة 2019، حظي الممثل محمد زيشان أيوب بدور في دراما سياسية هندية بعنوان "تانداف" من إنتاج أمازون برايم. يعد العنوان ذكيًا، ذلك أن كلمة "تانداف" تعني في التقاليد الهندوسية رقصة الحياة والموت التي يؤديها الإله "شيفا" – الذي يُعتقد أنه يمكن لقواه الرهيبة إنهاء الكون – وهي استعارة أنيقة للمناورات المظلمة والمعقدة للسياسة الوطنية. عندما قرأ أيوب السيناريو، رصد مجموعة صغيرة من التلميحات حول الهند من حوله: في إحدى الحلقات، اقتحم رجال الشرطة حرمًا جامعيًا للقبض على زعيم طلابي مسلم.

ذكّره المشهد باضطهاد الحكومة للطلبة السياسيين ذوي الشعبية، وعلى نطاق أوسع، أشار إلى العداء تجاه المسلمين الذي زاد نتيجة السياسة القومية الهندوسية لرئيس الوزراء ناريندرا مودي وحزبه بهاراتيا جاناتا (حزب الشعب الهندي) الذي كان قد بدأ لتوه فترة ولايته الثانية على التوالي في السلطة. وقال أيوب: "عندما تكتب، من الواضح أنك ستكتب عن آخر الأحداث".

مع ذلك، كانت سلسلة "تانداف" في الغالب تتطلع إلى أن تكون عملاً ترفيهيًا استعراضياً تبدأ حبكته بموت رئيس الوزراء بعد شرب كأس من النبيذ المسموم في الحلقة الافتتاحية. قال أيوب: "في الواقع أخبرت المخرج بأنه "إذا كسرت شخصيتك الرئيسية الجدار الرابع، ستحصل على نسخة من

"بيت البطاقات".

لعب أيوب دور قائد طلابي آخر، وهو شخصية ساذجة تدعى شيفا شيخار – لم يكن دورا رئيسيًا غير أنه مثّل دَفعة في مسيرته المهنية. منذ ما يزيد قليلاً عن عقد من الزمان، كان أيوب ممثلا مسرحيا متعثرًا في دلهي: "لقد احتجت إلى أربعة أو خمسة أشهر لتوفير ما يكفي من المال لشراء ثلاجة". ثم انتقل إلى مومباي وألقى بنفسه في قِطاع الترفيه في بوليوود – لاستخدام مصطلح يكرهه العديد من سكانها.

منذ ذلك الحين، حصل أيوب، الذي يبلغ الآن 39 سنةً، على أدوار داعمة في كل من الأفلام الضخمة الناجحة والأفلام الصغيرة المتألقة. لكنته الهندية جذابة لكنه لم يصبح بعد ذلك النوع من الممثلين الذين يتجمع الناس حولهم في الشارع. عندما التقينا في حزيران/ يونيو، لم نذهب إلى فندق فخم أو إلى سوهو هاوس – الأماكن المعتادة والسرية للنجوم – بل قصدنا مقهى بالقرب من المجمع الذي توجد فيه شقته. جلسنا في الهواء الطلق في طقس رطب قبل الرياح الموسمية، بدأ أيوب يدخن السجائر ويتناول الجبن الحار بنهم وكأن جسمه يحرق السعرات مثل جسم طالب جامعي. قال أيوب ضاحكاً إنه بعد أن مثّل في "تانداف"، كان عليه أن يخسر وزنًا ليبدو شابًا بما يكفي ليؤدي شخصية شيفا شيخار.

> في الآونة الأخيرة، سُجن صحفي مسلم لمدة ثلاثة أسابيع لأن شخصًا ما اشتكى من أن تغريدة عمرها أربع سنوات تسخر من الهندوسية

في المشهد الأول الذي صوره أيوب، ظهر شيفا على خشبة المسرح في مسرحية هزلية للطلاب يؤدي دور إله يحمل الاسم نفسه "شيفا"، يرتدي بدلة واستيقظ حديثًا من غفوة كونية ويتساءل كيف يواكب الأحداث مرة أخرى. غرد بشيء مثير للجدل يقترحه أحد المتواطئين – شيئًا ما حول اعتبار طلاب الجامعة، الذين يطالبون دائمًا بـ "أزادي" أو الحرية من قمع حكومتهم، "مناهضين للمواطنين" وخونة للهند. يضحك الجمهور؛ ويتشدق حزب بهاراتيا جاناتا في هذا السياق كثيرًا لدرجة أنه تحول إلى مجاز. لكن شيفا مندهش. كيف يمكن للدعوة إلى الحرية أن تكون مثيرة للجدل؟ صرخ: "آزادي؟". "ماذا هذا بحق الـ . . .؟" غارت الكلمة الأخيرة بصرخة ملاحظات الميكروفون.

على غرار مشاهد العري والجنس، تزعج الألفاظ النابية المنتج السينمائي أو التلفزيوني الهندي العادي. وينطبق هذا بشكل خاص على صانعي الفيلم الهندي المثالي – ميلودراما الغناء والرقص، المناسب لجميع الأعمار – لكن الغريزة تبقى في أولئك الذين يهدفون إلى أن يكونوا أكثر انفعالاً. عندما قام محامو أمازون برايم وشركة محاماة خارجية بمراجعة نصوص "تانداف" لأول مرة كإجراء معتاد – كانت جملة شيفا عبارة عن "ما هذا بحق الجحيم؟" – أخبرني أحد المحامين أن فريقه قد حث القائمين على العروض على تقليم كلمة بذيئة، ولكن كان هناك المزيد من القلق بشأن ظهور "تانداف" على أنه مناهض لحزب بهاراتيا جاناتا. يتذكر المحامي أن إحدى الشخصيات "كانت

سياسيًا يُصوَّر على أنه محافظ يدفع باتجاه خصخصة التعليم، وهي إحدى قضايا حكومة مودي. قلنا دائمًا "افعل ذلك بطريقة لا يمكنك فيها مطابقة الأحداث التي تظهر على الشاشة مع ما يحدث في الحقيقية". (عارضت أمازون هذا التوصيف على نطاق واسع).

أصبح الإلهام من العناوين القاتمة – كعمليات الإعدام خارج نطاق القانون والمحسوبية وأعمال الدولة الاستبدادية – مشروعًا محفوفًا بالمخاطر. كان حزب بهاراتيا جاناتا ومناصروه غير متسامحين مع الآراء والنقد المخالفين، وكانوا مسؤولين عن ردود الأفعال السيئة من خلال هجمات منصات التواصل الاجتماعي أو المضايقات المستهدفة من قبل الوكالات الحكومية أو الدعاوى التي لا تنتهي. كان العنف المباشر أكثر ندرة على الرغم من أن تهديد اندلاعه لم يكن بعيدًا على الإطلاق. قال المحامي: "في سنة أو نحو ذلك قبل تانداف، كان الناس يعترضون على أي شيء".

عندما عُرض "تانداف" للمرة الأولى في كانون الثاني / يناير 2021، كان أيوب في الموقع يصور فيلماً. لاحظ أنه كانت تتم الإشارة إليه بشكل متكرر على موقع تويتر – أحيانًا من قبل أشخاص يمدحونه، ولكن في الغالب وسط الكثير من الإساءات. في المدن والبلدات البعيدة عن مومباي، قدم الناس شكاوى للشرطة بدعوى أن تصوير شخصية شيفا كشخص بذيء اللسان كانت إهانة للهندوسية. (أخبرني مسؤول من حزب بهاراتيا جاناتا أنه في الأسرة الكبيرة للمنظمات الهندوسية القومية، "يمكن دائمًا العثور على موظف متحمس يقدم هذه الشكاوى لإرضاء رؤسائه". في الهند، حيث الشرطة والمحاكم سهلة الانقياد، من الصعب أن تكون متفائلًا.

في الآونة الأخيرة، سُجن صحفي مسلم لمدة ثلاثة أسابيع لأن شخصًا ما اشتكى من أن تغريدة عمرها أربع سنوات تسخر من الهندوسية. كان الحساب الذي أبلغ عنه مجهولاً، وكان يحتوي على تغريدة واحدة ومتابع واحد في يوم الاعتقال، وأصبح غير متصل بالإنترنت بعد ذلك.

حتى تكون بمأمن، حذفت أمازون المشهد الهزلي من "تانداف" بعد أيام قليلة من بدء بث العرض. استعرت مشاعر الغضب. كتب أحد كبار قادة حزب بهاراتيا جاناتا لأمازون متهمًا "موظفيها ذوي الدوافع الأيديولوجية" بإدارة "برامج شريرة". قدمت أمازون التماسًا إلى المحكمة العليا في الهند لحماية مدير العرض والمنتجين من الاعتقال بينما كان يتم النظر في القضايا؛ ورفضت المحكمة منح هذا التأجيل. قال أيوب إن هذا كان شعورًا غير مسبوق، ودفع الجميع إلى حالة من القلق الشديد.

> من خلال بوليوود، تروي الهند لنفسها قصصًا عن نفسها. والعديد من هذه القصص الآن مختلفة تمامًا بما يتفق مع تعصب الجناح اليميني

يتذكر أحد موظفي أمازون الذي كان يعمل في "تانداف" كيف كانت التجربة مرهقة: "لقد طغت على أيامنا ولياليا وأسابيعنا وشهورنا". وأضاف "كنا جميعًا نعمل من المنزل، لأن هذه الفترة كانت ذروة انتشار فيروس كورونا. لذلك كنت أتواصل مع موظفي أمازون في الولايات المتحدة في وقت متأخر من الليل وفي الصباح الباكر، لأن الشركة أرادت حماية موظفيها". كانت جميع المناقشات تدور

حول "كيفية الحفاظ على سلامة فريقنا" – ولكن لبضعة أشهر بدا الأمر كما لو أن مديرًا تنفيذيًا في أمازون قد يدخل السجن بسبب إعطاء الموافقة لبرنامج تلفزيوني مبتذل.

يزدهر قطاع صناعة الأفلام في العديد من المدن الأخرى في الهند، لكن "بوليوود" أصبحت اختصارًا للسينما الهندية برمتها ولآلاف الأفلام التي تصدرها البلاد سنويًا. منذ ما يقارب قرنا من الزمان، توشحت بوليوود أيضًا بالبريق الدافئ والرضا عن النفس لكونها شغفًا يوحد بلدًا من الانقسامات. سيقول صانعو الأفلام إن جمهورها ليس فقط مختلطًا مثل الهند نفسها، لكن بوليوود مكان لا يهم فيه الدين والطائفة. والدليل الأكثر ارتباطاً بالدين على هذا هو حقيقة أنه في بلد ذي أغلبية هندوسية، كان رجل مسلم يدعى شاروخان هو أشهر نجم شباك التذاكر لعقود.

وحتى لو كانت بوليوود تمتلك هذه التوليفة الليبرالية، فإن التأرجح اليميني في السياسة الهندية قد قضى عليها. في مومباي، يقسّم الناس التاريخ الحديث إلى فترات "ما قبل تانداف" و"ما بعد تانداف"، ويتمعّنون في هذه السلسلة ومعاركها القانونية المريرة حول حظر موسمه الثاني، ويعتبرونه درسًا لما يمكن وما لا يمكن قوله في "هند مودي". تتجلى عصبيتهم في السخافات؛ على سبيل المثال، كيف تثبط "أمازون برايم" الآن الشخصيات التي تتشارك أسماؤها مع الآلهة الهندوسية، ولكن أيضًا في قرارات وضع مشاريع الأفلام والتلفزيون الجريئة في التخزين البارد.

في الأثناء، يتبنى صانعو أفلام آخرون الإنتاجات التي تتناسب مع أذواق حزب "باراتيا جاناتا" مثل ملاحم تاريخية مشكوك فيها تمجد الملوك الهندوس السابقين؛ أو أفلام الحركة عن الجيش الهندي، الدراما السياسية والصور الحيوية. كل هذه المنتجات مستمدة من قائمة حزب بهاراتيا جاناتا للفاسدين: الحكام المسلمون في العصور الوسطى، وباكستان، والإرهابيون الإسلاميون، واليساريون، وأحزاب المعارضة مثل المؤتمر الوطني الهندي.

من خلال بوليوود، تروي الهند لنفسها قصصًا عن نفسها. والعديد من هذه القصص الآن مختلفة تمامًا بما يتفق مع تعصب الجناح اليميني.

حاولت الحكومات السيطرة على السينما الهندية في الماضي غالبًا من خلال المجلس المركزي لشهادة الأفلام، لكن ازدراء حزب بهاراتيا جاناتا لبوليوود يسجل كشيء أعمق؛ كصدى، في الواقع، لعدائه تجاه الكونغرس والأحزاب المنافسة الأخرى.

عندما وصل مودي إلى السلطة في سنة 2014، انتقد السياسة الوطنية باعتبارها نادٍ للنخبة: من الطبقة العليا والرتب السامية والسياسيين الناطقين باللغة الإنجليزية والنشطاء والصحفيين؛ كلهم متقاربون مع بعضهم البعض في المناطق الراقية وسط دلهي. ومن وجهة نظر حزب بهاراتيا جاناتا، فإن بوليوود مليئة أيضًا بالليبراليين المنفصلين عن الهند الحقيقية. وإذا كانت صناعة السينما مليئة "بالأبناء الجدد"؛ أبناء الممثلين والمنتجين والمخرجين؛ فإن راهول غاندي، رئيس الوزراء الطموح للكونغرس وابن وحفيد وابن حفيد رؤساء الوزراء السابقين، وهو الأهم بين جميع "الأبناء الجدد". قال لي المخرج نيخيل أدفاني، ابن عم وابن شقيق المنتجين: "أناس مثلنا مكروهون".

بدأ "باراتيا جاناتا" بخطوات سياسية نموذجية صغيرة. في سنة 2015، عيّن ممثلًا من الدرجة الثانية، كان أيضًا عضوًا في الحزب منذ فترة طويلة، لقيادة معهد صناعة الأفلام المرموق الذي تديره الدولة. عندما استقال أحد مسؤولي "المجلس المركزي لشهادات الأفلام"، بحجة تعرضه للإكراه من قبل الحكومة، خلفه لهلاج نيهالاني، المخرج الذي صنع الفيديو الترويجي لحملة مودي. نهالاني لم يكن يريد أي لبس في السينما، أو عنف أو جنس، ولا حتى كلمة "جماع".

عندما قدمت ألانكريتا شريفاستافا فيلمها "أحمر الشفاه تحت برقعي" إلى "المجلس المركزي لشهادات الأفلام" في سنة 2016، رفضوا التصديق عليه – كما أخبرتني. في صناعة معروفة بكتابة شخصيات أكبر من الحياة، روت شريفاستافا قصصًا ذات بعد إنساني، بحلوها ومرها، عن رغبات أربع نساء. في رسالة إلى المنتجين، اعترضت لجنة الرقابة على المشاهد الحميمة، وعلى الحبكة نفسها، الموجهة للمرأة. قالت لي شريفاستافا إن رد الفعل المخيّب هذا يمكن أن يحدث في ظل أي حكومة. كانت هناك نقطة لصالحها، كونها في ذلك الوقت قادرة على الاستئناف أمام المحكمة التي صادقت على الفيلم. وقالت: "كان الأمر محبطًا ومكلِّفًا، ولكن على الأقل كانت هناك طريقة لعكس القرار". في السنة الماضية، ألغت الحكومة القرار، والآن الملاذ الوحيد المتاح لصانعي الأفلام الخاضعين للرقابة هو المقاضاة.

> من غير المستبعد أن تتوسّع دائرة خصوم "بهاراتيا جاناتا" لتشمل أساتذة الجامعات اليساريين والكونغرس. وقد أثار فيلم "ملفات كشمير" بالفعل أعمال شغب

أظهر حزب "باراتيا جاناتا" مهارة أخرى أيضًا، وهي القدرة على تقوية قاعدته، التي تشمل مستخدمي الإنترنت، وكبار الموظفين، وحلفاءه في الأيديولوجيا، بشكل جنوني، وبتماسك شديد لدرجة أنه أصبح قريبًا من المشاعر الشعبية. في سنة 2015، عندما اعترف عامر خان -النجم الذي لعب أدوارًا متعددة في الكثير من أفلام بوليوود الأعلى ربحًا – أنه قلق بشأن تزايد التعصب في الهند، بدأت ردود الفعل العنيفة على وسائل التواصل الاجتماعي ضد الشركة الهندية "سناب ديل"، وهي منصة التجارة الإلكترونية التي اعتمدها خان في اللوحات الإعلانية والمشاهد التلفزيونية.

في غضون أشهر، قررت "سناب ديل" عدم تجديد عقده. وحتى هذه السنة، ناشد خان الجماهير عدم ازدراء فيلم جديد بسبب ملاحظاته السابقة. أخبرني أحد المخرجين أنه في سنة 2020، تعرّض أحد أصدقائه المثلين لحملة مقاطعة على "تويتر". وأضاف قائلًا: "عندما رأيت ذلك، ذهبت وحذفت جميع منشوراتي عن السياسة. كان لديّ فيلم على وشك أن يُطرح، وحتمًا كانوا سيستخدمون تغريداتي ضد صدوره".

بدأ يتزايد الشعور بأن تجاهل هذا الوضع ليس من الحكمة. في سنة 2016، بدأ سانجاي ليلا بهنسالي – مخرج معروف بدراما الأزياء المتطرفة – في إنتاج فيلم "بادمافاتي"، جسّد من خلاله أسطورة درامية: قصة بادمافاتي، وهي ملكة هندوسية من طائفة راجبوت اشتهرت بجمالها لدرجة

أن علاء الدين خلجي، سلطان دلهي، هاجم مملكة زوجها لاختطافها. قام بهنسالي بتصوير هذا الفيلم بديكوره الفخم المعتاد: قصور، مشاهد تعج بالإضافات، ولوحات عديدة من القماش. ومع اقتراب النهاية، حاصر جيش خلجي بادمافاتي وخادماتها. وبدلاً من الخضوع قفزن في حفرة من النار؛ وهي نهاية سعيدة في عالم أخلاق اليمين الهندوسي، حيث يتم تصوير خلجي على أنه نصف مجنون، شهواني، وآكل لحوم ملتزم، في إحياء للصور النمطية للمسلم الهندي.

قبل صدور الفيلم، تسربت شائعات عن مشهد حب بين بادمافاتي وخلجي، وهو ما يعتبر استخفافًا كبيرًا جدًا بالشرف الهندوسي. أعلن سياسي من "باراتيا جاناتا" عن مكافأة لقطع رأس ديبيكا بادوكون، التي لعبت دور بادمافاتي. اقتحم حشد من الشباب الغاضبين من راجبوت موقع تصوير الفيلم، ووجدوا بهنسالي فاعتدوا عليه؛ ثم دمروا معدات التصوير. وفي حادثة لاحقة، أحرقوا جزءًا من الموقع. وحسب بهنسالي، فقد اضطر إلى إنهاء إطلاق النار، تحت حماية 52 شرطياً. وقال عن ذلك في وقت لاحق: "في لحظة ما، فكرت بالتوقف وتغيير مهنتي".

غالبًا ما ينسب "بهاراتيا جاناتا" هذه الأحداث إلى عناصر هامشية أو وطنيين هندوس مجهولي الهوية. لكن تعدد مثل هذه الحوادث جعل صانعي الأفلام يفترضون أنهم يشهدون تحولًا أكبر، حيث أصبح جمهورهم في المتوسط، يحب حقًا كل شيء يحبه حزب "بهاراتيا جاناتا"، ويحذو حذوه فيما يحب ويكره. بالنسبة لأي شخص لديه مئات الملايين من الروبيات ينتج فيلمًا، كما قال أحد المخرجين الكبار، هذه ارتباكات تكتونية"؛ عندما يفكر شخص ما في فكرة فيلم، ليس أنا فقط، ولكن الأشخاص الآخرين الذين يعتبرون أنفسهم ليبراليين، فإنهم يتساءلون: "هل من الجيّد أن يكون بطلي مسلمًا؟". ويضيف: "لكن السؤال الأكثر قتامة هو: هل يوجد أصلًا، جمهور لهذا النوع من الأفلام؟".

لقد ثبت أن فيلم "ملفات كشمير" محير بشكل خاص. صدر الفيلم في وقت سابق من هذا العام، وتزعم التقارير أنه يستند إلى أحداث حقيقية: الطرد الوحشي الذي بدأ في سنة 1989 لعشرات الآلاف من الهندوس من وادي كشمير ذي الأغلبية المسلمة، حيث قُتل ما لا يقل عن مائتي هندوسي وفقًا لبيانات حكومية، لكن الفيلم يضخم العدد إلى أربعة آلاف. كان المتمردون المسلحون مسؤولين عن ذلك، لكن الفيلم يلوم أيضًا آخرين، ضمنيًا أو ظاهريا، على هذه المأساة وطمس الحقيقة لاحقًا.

من غير المستبعد أن تتوسّع دائرة خصوم "بهاراتيا جاناتا" لتشمل أساتذة الجامعات اليساريين والكونغرس. وقد أثار فيلم "ملفات كشمير" بالفعل أعمال شغب، ودعا أحد زعماء الحزب لإطلاق النار على المتظاهرين المناهضين للوطنيين كما وصفهم، وحث أتباعه عبر"تويتر"، على مشاهدة الفيلم، حتى يتأكدوا من عدم وجود قضايا أخرى مستقبلا مثل "ملفات بنغال"، "ملفات كيرالا"، و"ملفات دلهي غدًا".

أشاد مودي بالفيلم باعتباره انفجارًا آخر للفقاعة الليبرالية. وأقدم زعيم حزب "بهاراتيا جاناتا" على توزيع تذاكر مجانية لمشاهدته. بعد أن أصبح "ملفات كشمير" واحدًا من أكثر الإصدارات ربحًا لعام 2022، أخبرني نيخل أدفاني أن منتجي الأفلام تساءلوا بطبيعة الحال عمّا إذا كان هذا هو الشيء

الذي يريد الناس مشاهدته. وقال ساخراً: "الآن بعد أن نجحتْ، دعونا نصنع هذا النوع من السينما القومية الشوفينية".

في مومباي، يقع النصيب الأكبر من مشاهير بوليوود في باندرا، وهي ضاحية غربية على شكل متاهة. أمّا النجوم الذين يظهرون في أماكن أخرى من المدينة على ملصقات الأفلام، فيقيمون هنا، وسط طرق ضيقة ومتعرجة وكنائس برتغالية عتيقة وحانات أنيقة لا يمكنهم زيارتها أبدًا. سلمان خان، الممثل الذي قضى معظم حياته المهنية في لعب أدوار يستعرض فيها العضلات، يعيش في نفس المبنى السكني حيث نشأ هو وشقيقيه، وهما أيضًا ممثلان. وغير بعيد منه، يحتل الممثلان كارينا كابور وسيف علي خان وأطفالهما عدة طوابق من مبنى سكني. يشير سائقو سيارات الأجرة ذات اللونين الأسود والأصفر في مومباي، بشكل روتيني إلى هذه المعالم أثناء مرورهم بها.

أسوأ أسرار مومباي الخفية يكمن على بعد أبواب قليلة من فندقي، على طريق مواجه للبحر؛ حيث يعيش شاروخان مع عائلته في فيلا بحجم فندق صغير خلف بوابات ثقيلة. وفوق جدار يحيط بهذا المجمع، أقام خان سياجًا معدنيًا أسودَ بمنصة، حيث يطل أحيانًا مرتديًا نظاراته الشمسية لتحية الجماهير المتجمعة على الرصيف لإلقاء نظرة عليه. الرصيف لا يفرغ أبداً؛ حتى في وقت متأخر من الليل، فعند عودتي إلى فندقي رأيت بعض المعجبين الهائمين يلتقطون صورًا ذاتية، أو يتحدثون بهدوء، أو يحدقون في منزل خان في الظلام. وفي تلك اللحظات، لم يكن شيء ليرسم حدود الفجوة بين عوالمهم – بين المعجب والمشاهير، خارجيًا وداخليًا – أكثر وضوحًا من السياج المعدني الأسود.

> مهمة راميش – حسب قوله – هي دفع صانعي الأفلام نحو موضوعات قريبة من قلب منظمة التطوع الوطنية الهندية، فهو لن يهتم بمسلسل درامي عن الصراع بين الطوائف الهندوسية

ذات صباح، انضم إليّ على الإفطار في فندقي رجل بشارب مهذب، وبعد أن كان دخيلًا ماهرًا يحاول الآن أن يصبح نوعًا جديدًا من المقربين. سأدعوه راميش، لأنه على الرغم من أنه ينتمي إلى منظمة التطوع الوطنية الهندية، الحركة الأم لحزب بهاراتيا جاناتا ومجموعات هندوسية قومية أخرى، إلا أنه كان حريصًا على التأكيد على أنه كان يقابلني بصفته الشخصية.

منظمة التطوع الوطنية الهندية هي منظمة تطوعية عمرها ما يقارب مائة عام وليست حزبا سياسيا. وتقوم على الاعتقاد بأن الهند هي أرض الهندوس أولاً وقبل كل شيء؛ وتطمح كثيرًا إلى تكريس الهندوسية الراديكالية لدرجة أن أعضاءها غالبًا ما يتلقون تدريبات شبه عسكرية، علما بأن قاتل المهاتما غاندي كان في يوم من الأيام رجلًا فخورًا من منظمة التطوع الوطنية الهندية.

انضم مودي إلى منظمة التطوع الوطنية الهندية عندما كان صغيرًا، كما فعل العديد من قادة حزب بهاراتيا جاناتا. مع ذلك، نفى راميش أن المنظمة تمارس أي نفوذ لا داعي له على الحكومة قائلا: "إنها أشبه بكلية – دعنا نقل إنها مثل هارفارد". وأضاف: "مائة طالب من جامعة هارفارد أصبحوا

أعضاء في مجلس الشيوخ في الولايات المتحدة الآن، فهل تقول في كل مرة يذهبون فيها إلى أساتذتهم ليسألوا عن شيء إن جامعة هارفارد تدير الحكومة؟"، لقد صاغ هذا على أنه سؤال بلاغي، لكنني أظن أن لدينا إجابات مختلفة في أذهاننا.

قامت منظمة التطوع الوطنية الهندية بتشكيل وحدة إعلامية في مومباي سنة 2019 لم تكن للتنسيق فقط مع صناعة السينما وإنما أيضًا للتنسيق مع الصحفيين وقطاع الموسيقى والحرف الأخرى. يعتز راميش بهذا العمل، لقد جاء من بلدة في جنوب الهند إلى مومباي في العام الماضي؛ حيث نشأ محبًّا للسينما، ولا يزال يتذكر الفيلم الأول الذي شاهده مع والده في السينما عندما كان في الرابعة من عمره وهو فيلم غموض مثير اسمه "هاتيا" أو "جريمة قتل"، وهو فيلم غير مناسب بشكل مخيف لعمره. وقد اعتاد والده على تضمين عنوان كل فيلم يشاهده إلى جانب سعر التذكرة، في حسابات يومية دقيقة للنفقات؛ حيث قال راميش: "لا تزال لدي قائمة بمئات الأفلام التي شاهدناها".

عمل راميش مع منظمة التطوع الوطنية الهندية وهو يحضر العديد من الاجتماعات – حوالي نصف دزينة في اليوم- مع المخرجين والمنتجين والكتّاب ومديري الاستوديوهات التنفيذيين في جميع أنحاء مومباي؛ حيث يستجديهم على تطبيق "واتس آب". (أرسل لي مخرج لقطات شاشة لأحد رسائل راميش: "كان فيلمك الأول فيلمًا مشهورًا دوليًا وفاز أيضًا بالعديد من الجوائز هنا.. نود مقابلتك من أجل تفاعل غير رسمي بالشكل الذي يناسبك ويريحك").

مهمة راميش – حسب قوله – هي دفع صانعي الأفلام نحو موضوعات قريبة من قلب منظمة التطوع الوطنية الهندية، فهو لن يهتم بمسلسل درامي عن الصراع بين الطوائف الهندوسية. وهو يقول على سبيل المثال: "انظر إلى التاريخ العظيم لهذا البلد – وماذا نعرض؟ نظهر كل الأشياء السيئة"، لكن الصراع في حد ذاته ليس مشكلة.

> يحب حزب بهاراتيا جاناتا أن ينسب نجاحه إلى الصحوة الهندوسية، ويعتقد راميش بالمثل أنه سيكون من الحكمة أن تستجيب بوليود للجمهور الجديد الواعي الذي لن يتحمل أي إهانة.

غالبًا ما يقترح قصصًا عن وكالات الجيش والاستخبارات الهندية أو قصصًا عن المعارك التي انتصر فيها الملوك الهندوس. وقد أخبرني عن جنرال هندوسي من القرن السابع عشر، صمد ضد جيش ملك مسلم بمساعدة بضع مئات فقط من الجنود وفقًا للأسطورة، "مثل فيلم "300". قال راميش إن الفيلم سيشجع الناس على الشعور بالرضا عن الهند: "يجب أن تنتهي كل قصة بنهاية سعيدة".

لكن النهايات السعيدة نسبية، فإذا كان الفيلم يتوافق مع رؤية منظمة التطوع الوطنية الهندية للبلاد، فإن راميش يبرر أي تلاعب بالحقائق؛ ولكن إذا خرجت عن هذه الرؤية، فإنه يعتقد أن

مبتكريها يسعون إلى "تشويه" صورة الهند. استشهد بفيلم "الإمبراطورية"، وهو عرض على منصة ديزني الهندية عن بابور المحارب المسلم الذي أسس سلالة المغول في الهند سنة 1526؛ حيث استغرب راميش من تقديم عرض يضفي طابعًا إنسانيًا على بابور، فهو لا يعتبر الحكام المسلمين هنودًا، حتى لو ولدوا في البلاد: "لقد كانوا غزاة".

سلسلة "الألعاب المقدسة"، وهي مسلسل "سوداوي" على "نيتفليكس"، تصور رجلاً هندوسيًا يخطط لعمل إرهابي، لكن راميش اعتقد أنها كانت دعاية: "تريد أن تظهر الهندوس على أنهم إرهابيون لأنك لا تريد الاعتراف بالإرهاب الإسلامي"، ماذا عن "تانداف"؟ أليس دعاية أيضًا؟".

لكنه من ناحية أخرى يغفر للمخرجين الذين يحرّفون التاريخ، ويصور الملوك الهندوس وهم يهزمون أعداءهم المسلمين في المعارك التي خسروها بالفعل: "عليك أن تُظهر شيئًا يلهم الناس". وعندما سألته عن "ملفات كشمير" – ومدى استقطابها بوقاحة، وأن مضمونها كانت بعيدة كل البعد عن كونها سعيدة – ادعى بشكل لا يرقى إليه الشك أن الأمر كله حقيقة؛ قائلًا: "يجب أن تعرف التاريخ".

يحب حزب بهاراتيا جاناتا أن ينسب نجاحه إلى الصحوة الهندوسية، ويعتقد راميش بالمثل أنه سيكون من الحكمة أن تستجيب بوليود للجمهور الجديد الواعي الذي لن يتحمل أي إهانة. فإذا شعرت أمازون بالرهبة من الدعاوى القضائية المرفوعة ضد "تانداف" – وأنها مضطرة لتقديم عروض وأفلام لمناصري الهندوسية – فهذا لا يقلق راميش؛ حيث يقول: "يجب أن يكونوا سعداء لأننا نرفع دعاوى قضائية بدلًا من أن نذهب وندمر مبانيهم".

تعتبر جهوده الخاصة لجعل بوليوود يمينية بالفعل طفيفة، لكنها عبرت عن الأهمية التي توليها منظمة التطوع الوطنية الهندية للسينما؛ حيث قال: "نحن ندرك أن هذا هو أقوى وسيط يتحكم في العقول ويؤثر على آراء الناس. الفيلم هو مرآة للمجتمع". وعلى الرغم من أنها فكرة متعبة ومملة، إلا أنها صدمتني، فاليمين الهندوسي لا يعيد صياغة المجتمع فحسب للحصول على الانعكاس الدقيق الذي يريده، بل المرآة نفسها أيضًا.

كان الكاتب سعدات حسن مانتو، الذي أبدع بعضًا من أكثر القصص القصيرة ظلامًا وطرافة في القرن العشرين، عاشقًا للسينما وكان أحيانًا يشاهد ثلاثة أفلام في اليوم. وفي أواخر الأربعينيات من القرن الماضي، قبل انتهاء فترة الحكم البريطاني بقليل، انضم مانتو إلى "مومباي توكيز"، أول الاستوديوهات الهندية العظيمة.

تم تفكيك شبه القارة الهندية بشكل دموي إلى الهند وباكستان، وكتب مانتو لاحقًا: "بدأت أعمال الشغب بين الهندوس والمسلمين، وكما كان يسقط "الويكيت" في مباريات الكريكيت، كان الناس يموتون". وفي هذه الأوقات المحفوفة بالمخاطر، شرع سافاك فاشا، أحد رؤساء الاستوديو ذو الديانة البارسية، في إعادة تنظيم مومباي توكيز" وترقية العديد من الموظفين الذين صادف أنهم مسلمون، مثل مانتو.

كتب مانتو: "بدأ فاتشا في تلقي رسائل الكراهية، وقيل له إنه إذا لم يتخلص من المسلمين، سيتم

إضرام النيران في الاستوديو."، شعر مانتو بالمسؤولية، فكيف سيواجه زملائه لو وصل العنف إلى الاستوديو؟ حاول صديقه أشوك كومار، أقدم نجوم بوليوود، طمأنته ويتذكر مانتو قوله: "مانتو، هذا جنون.. وسوف يختفي"، لكن هذا الجنون لم يختفي. بدلا من ذلك، أصبح الأمر أكثر ضراوة بمرور الوقت.

> في أواخر الثمانينيات، وبتواتر أكبر في التسعينيات، بدأت الأفلام السائدة تظهر المسلمين على أنهم رجال عصابات، ومهربون ثم إرهابيون

ربما لم تكن الهند يومًا بلد الانسجام الديني، ولكن كما أخبرتني ديباشري موخيرجي، باحثة في سينما جنوب آسيا في جامعة كولومبيا: "كانت بوليوود في بدايتها، واحدة من أكثر مجالات العمل تعددية من عدة نواحٍ".

جزء من هذا كان تحالفًا سياسيًا مع المقاتلين من أجل الحرية مثل المهاتما غاندي وجواهرلال نهرو، الذين أرادوا أن تكون الهند دولة تعددية. وقالت موخيرجي أيضًا إن الأمر نشأ من الضرورة لأن صناعة السينما تم إنشاؤها كمزيج من العديد من الحرف الأخرى: "جاء بعض التمويل المبكر من مسلمي الغوجاراتية، وكان بعض الكتاب الأوائل من مسرح بارسي"، كتب مؤلفو الأغاني باللغة الأوردية، وهي لغة متأثرة بالعربية والفارسية واعتبرها النبلاء المسلمون وسيلة للثقافة الراقية، كان العمل جماعيًا: فقد يكون خياط لباس دادا هندوسيًا ورسام لوحة دادا مسلمًا. وكما قالت موخيرجي: "كانت القوى العاملة متنوعة، وهو ما لا يزال هو الحال اليوم".

على الشاشة، كان هناك ميل إلى تنميط المسلمين الهنود، لكن بالنسبة للاتجاه السائد في بوليوود لم يكن هذا غريبًا: فكل شخصية تميل إلى أن تكون نمطية. عندما كان المسلمون أبطال القصة، كانوا غالبًا ما يظهرون على أنهم نبلاء مغول أو بائعات هوى أو لاعبين فيما تسميه الباحثة السينمائية إيرا باسكار "المجتمع الإسلامي" بالشكل الذي مالت إليه أساليب الحياة الإقطاعية الأقدم في القرن العشرين. وشملت قائمة الأدوار الثانوية الشيخ المسلم المحسن (خان تشاتشا، أو العم خان)، والشاعر أو الملحن الحنون، والصديق الصدوق.

ظهر الدور النمطي للشخصية المسلمة حتى في فيلم "عمار أكبر أنتوني" (1977)، وهو فيلم تاريخي كرّس مبدأ التسامح الديني. يجسد "عمار أكبر أنتوني" معالم سينما بوليوود – الطويلة والمليئة بالحيوية مع حبكة تعود للحقبة الباروكية ونصف دزينة من الأغاني الموسيقية. يروي الفيلم قصة ثلاثة أشقاء انفصلوا في مرحلة الطفولة لأنه تم تبنيهم من قبل عائلات من أديان مختلفة، وكبروا ليكونوا أبطال الفيلم ويقع كل منهم في حب امرأة من دينه. ولا تعتبر نهاية هذا الفيلم غريبة لأنها تجيب عن السؤال المتعلق بالطرق التي اعتمدها الأبطال لتحقيق غاياتهم: كيف يدرك الإخوة أنهم إخوة؟ وكيف يجدون والديهم المفقودين منذ زمن طويل؟ وكيف كسبوا قلوب نسائهم؟ وكيف يهزمون المجرم الذي حاول تدمير عائلتهم؟ وينتهي الفيلم بلم شمل مبهج للعائلة، التي تجسد الأمة النهروية بأوضح طريقة ممكنة

في هذه القصة، كان من الممكن أن يكون أكبر، الأخ المسلم، يعمل في أحد البنوك أو يدير مجلة؛ بدلاً من ذلك، كان يغني الأردية وهي إحدى أشكال الموسيقى الدينية الصوفية في جنوب آسيا التي تعرف باسم قوالي، ناهيك عن أن حياته العاطفية والاجتماعية ذات طابع إسلامي.

> إذا كان اليسار قلقًا من أن مثل هذه الأفلام لم تكن ملتزمة بدرجة كافية أو نبيلة بما يكفي – حسنًا، يريد اليمين الآن أن تكون الأفلام إرشادية بطريقته الخاصة

في هذا السياق، قالت بهاسكار: "في أواخر الثمانينيات، وبتواتر أكبر في التسعينيات، بدأت الأفلام السائدة تظهر المسلمين على أنهم رجال عصابات، ومهربون ثم إرهابيون". وليس ذلك من قبيل الصدفة، فهذه كانت أيضًا العقود التي نما فيها حزب بهاراتيا جاناتا كقوة انتخابية. في سنة 1992، بعد الدعوة إلى تدمير مسجد في بلدة معبد أيودهيا، شاهد قادة حزب بهاراتيا جاناتا ومنظمة التطوع الوطنية الهندية أتباعهم وهم يهدمون المبنى في غضون ساعات. وقد تسببت أعمال الهدم في إثارة أعمال شغب، ودفع الهند نحو وضعها الحالي الذي يتسم باستقطاب مزمن.

في سنة 2010، التقت بهاسكار بالمخرج ياش تشوبرا، الذي صنع العديد من الأفلام العلمانية القوية بين الستينيات والثمانينيات، الذي أخبرها: "لم يعد من الممكن صنع مثل هذه الأنواع من الأفلام اليوم. لقد تلاشت المثل العليا التي كنا نؤمن بها في ذلك الوقت". لكن ربما كان من الخطأ اعتبار السينما بوصلة أخلاقية، والتعامل معها على أنها أي شيء آخر غير ما هي عليه في الحقيقة: آلة لكسب المال وإرضاء أكبر عدد ممكن من الناس. أخبرتني ناديني رام ناث، الناقدة السينمائية في موقع الويب الإخباري الهندي سكرول، أن "بعض الانتقادات القائلة إن بوليوود تافهة أو معادية للمرأة جاءت من الجماهير اليسارية الليبرالية حسنة النية، التي نظرت بازدراء إلى شكل هذه العلاقة". تعتقد رام ناث أن الهدف الرئيسي لبوليوود هو الترفيه العائلي، لذلك تروق أفلامها للجمهور ليس بسبب طابعها الشمولي وإنما بسبب تشبثها بماهيتها وهويتها.

وأوضحت رام ناث: "إذا كان اليسار قلقًا من أن مثل هذه الأفلام لم تكن ملتزمة بدرجة كافية أو نبيلة بما يكفي – حسنًا، يريد اليمين الآن أن تكون الأفلام إرشادية بطريقته الخاصة". يعد زعماء حزب بهاراتيا جاناتا بارعين في خلق انطباع بأنهم يعلمون بكل شيء وقادرين على أي شيء. ووأعتقد أن أوضح إشارة هي: فكر مرتين قبل أن تقول أو تفعل أي شيء، لأنك لا تعرف من الذي سيهينك، ويمكنك أن تفترض أنه سيهيننا".

في تصنيف بوليوود، يصنع المخرج ديباكار بانيرجي "أفلام النبلاء" – أفلاما للأشخاص الذين تعتبرهم الصناعة "العامة المفكرين والناس الراقيين"، على حد تعبير رام ناث. (أما النوع الثاني، على حد قولها، عبارة عن "أفلام جماهيرية" (أي أفلام للجميع). قدم فبيم بانيرجي "خوسلا كا غوسلا" أو "عش خوسلا" (2006)، مهندسًا شابًا أرجأ خططه للهجرة إلى الولايات المتحدة حتى يتمكن من إحباط مخططات الدون المحلي لضم أرض عائلته.

إن فيلم "شنغهاي" (2012)، الذي بدأ بهجوم مميت على أكاديمي يساري، مستوحى بشكل كبير من رواية فاسيليس فاسيليكوس "زد". انتظر بانيرجي، البالغ من العمر 52 عامًا، نهاية الجائحة مع أسرته في منزلهم الذي يقع في سفوح جبال الهيمالايا. في تطبيق زووم، يميل إلى التحديق في المسافة وجمع أفكاره قبل إيجاد إجابة لتساؤلاته، وهي العادة التي غالبًا ما جعلتني أعتقد أن الصورة قد تجمدت. ثم يصفع بعوضة على ذراعه وحينها أعرف أنه لا يزال متصلاً بالإنترنت.

في سنة 2017، تحرك شيء في نفسه. كان يقرأ برعب عن عمليات الإعدام خارج نطاق القانون بحق المسلمين وعن مقتل صحفي يدعى غوري لانكش على أيدي متطرفين هندوس. حسب بانيرجي، كان هذا "ثورانًا خاصًا للسم" – ومع ذلك بدا أن جزءًا كبيرًا من البلاد لا يشعر بمدى فظاعة ذلك: "كانت الطبقة الوسطى على دراية فقط بما يجري "للآخرين" بشكل يومي في كل مكان في البلاد. لذلك أردت حقًا صنع فيلم حول هذا الموضوع".

في السنة التالية، وقّع بانيرجي عقدًا مع نتفليكس لإنتاج فيلم بعنوان "الحرية"، وقام بتصوير الجزء الأكبر منه في غضون ستة وثلاثين يومًا في بداية سنة 2020، معظمها في مومباي. قال: "بقي لدينا خمسة أيام أخرى من التصوير الخارجي، لكنه لم يتمكن من إكمالها جراء عمليات الإغلاق التي فرضتها الهند".

في وقت سابق من السنة الجارية، أرسل لي بانيرجي رابط فيميو لفيلمه النهائي، الذي يسلط الضوء على ظاهرة التعصب الأعمى التي تفشت في الهند. يلمس بانيرجي موضوعه ببطء وبشكل جانبي من خلال قصة عائلة مسلمة. يجد الجيل الأول للعائلة، الذي عاش في كشمير أثناء الاضطرابات التي اندلعت سنة 1990، نفسه منفصلاً عن أصدقائه الهندوس. في الجيل الثاني، تريد امرأة شابة شراء شقة في مومباي الحالية، لكن لم يرضى أحد أن يبيعها لها. (عادة ما يكافح المسلمون في المدن الهندية للعثور على أماكن للعيش وهو شكل من أشكال التمييز الذي يمارسه مالكو المنازل والمجتمعات المحلية الهندوس). وفي سنة 2042، يعيش ابن المرأة، وهو روائي، في دلهي التي تعيش في مناطق معزولة – وهي مدينة مسيجة جغرافيًا حيث تحدد أجهزة الدولة ما يمكن أن يفعله الناس بناءً على درجة الائتمان الاجتماعي الخاصة بهم.

يتجلي بؤس هذا المستقبل بشكل واضح في الفيلم؛ في وقت لاحق، بدا أن المشاهد قاتمة وكئيبة، على الرغم من أن العديد من المشاهد مضاءة بشكل ساطع. قال بانيرجي: "لقد عشنا ما يكفي من التاريخ لفهم ما يجري الآن ويمكننا استقراءه، وهو ما يقدمه فيلمي".

خلال السنوات التي كتب فيها بانيرجي فيلمه وصوره، تسارعت عملية الاستيلاء على بوليوود. بحلول سنة 2019 – سنة الانتخابات – ظهر سماسرة سلطة جدد في الصناعة، على ما يبدو من العدم. أحده ، وهو نجل مشرع متحالف مع حزب بهاراتيا جاناتا، قام بإخراج فيلم "رئيس الوزراء العرضي"، الذي سخر من زعيم حزب المؤتمر الذي كان يحكم الهند قبل مودي. قال لي أرجون ماثور، أحد ممثلي الفيلم "شعرت وكأنها دعاية حتى عندما كنت أصوره، أنا نادم حقًا على القيام بذلك".

أنتج فيلم آخر صورة سيرة ذاتية مزيفة لمودي. أخبرني أحد المخرجين عن مهافير جين، المنتج الذي "لم

يكن معروفا" ولكنه الآن شريك بعض أكبر استوديوهات بوليوود وصانعي الأفلام. وغالبا ما يوصف جين، الذي قال إنه لا يستطيع مقابلتي لأنه كان مريضًا، بأنه مسؤول الاتصال الرئيسي في بوليوود الخاص بحزب بهاراتيا جاناتا. في كانون الثاني / يناير 2019، ساعد في تنظيم لقاء بين مودي ومجموعة من المستمعين، مما أسفر عن نقل صورة سيلفي انتشرت كالنار في الهشيم عبر الإنترنت الهندي. من الواضح أنه لم يكن هناك شخص واحد في الصورة مسلم.

في صيف 2020، بذريعة التحقيق في انتحار أحد الممثلين، فتحت السلطات الفيدرالية تحقيقًا في عادات تعاطي المخدرات لبعض أشهر النجوم في مومباي. كان من بينهم كاران جوهر، المخرج الأكثر نفوذا في المدينة – وهو مخرج يدير شركة إنتاج مترامية الأطراف، ومضيف تلفزيوني يمزح في برنامجه الحواري مع أصدقائه في بوليوود. وكابن وابن أخت المنتجين المشهورين يبلغ من العمر عشرين عامًا تم استدعاء كسيتيخ براساد، المنتج التنفيذي الشاب الذي كان يعمل في ذلك الوقت مع شركة جوهر، للاستجواب، وقال لاحقًا إن الضباط بدوا حريصين على إثبات أي تهمة على جوهر أو على أحد المشاهير الآخرين. قال براساد: "لقد ظلوا يصرون على أنني أقدم المخدرات للصناعة". (أنكرت وكالة التحقيق رواية براساد للأحداث).

> يندرج فيلم بانيرجي ضمن مجموعة متنامية من المحتوى الذي ترفض الإستوديوهات وصانعو الأفلام بثه؛ فقد أخبرني أحد المخرجين أنه صور قصة حب شخصين هربا من المنزل ليعيشا معًا، وقال: "لا أحد يريد عرض الفيلم لأنه "يصادف أن الصبي في هذه القصة مسلم والبنت هندوسية"

عندما رفض براساد التعاون، سُجن لمدة تسعين يومًا، ثم أطلق سراحه بكفالة. أخبرني أحد المديرين أن التهديد بغارة ضريبية أصبح أيضًا سلاحًا. عندما داهموه، لاحظ المحققون أنه كان يتبرع بمبالغ شهرية صغيرة لمواقع إخبارية مثل سكرول أو ذا واير، والتي غالبًا ما تنتقد الحكومة. في هذا أوضح براساد: "طلبوا مني ألا أقدم تبرعات لمثل هذه المجلات. لذلك كان علي أن أوقفها".

على الرغم من ذلك؛ تم التقليل من شأن هذه الأحداث في تشرين الثاني/أكتوبر الماضي، عندما اعتقل مفتشو المخدرات أريان خان، ابن شاروخان البالغ من العمر 23 عامًا؛ حيث قام فريق من العملاء، بأمر من نفس الضابط الذي سجن براساد، بإيقاف أريان في محطة ميناء مومباي، حيث كان يستعد لحضور حفل على متن سفينة سياحية، ولم يعثر العملاء على أي مخدرات، لكنهم احتجزوا أريان في السجن لمدة شهر تقريبًا قبل الإفراج عنه بكفالة.

في وقت سابق من هذا الصيف؛ تم إسقاط جميع التهم الموجهة إليه، مما دفع الجميع إلى التكهن بأن الوكالة الحكومية قد قامت بالفعل بسجن أريان خان دون وجود دليل، باعتباره ترهيبًا محضًا، وكانت تصريحات شاروخان محدودة خلال تلك الأسابيع، وفي غضون ذلك، اعتبر باقي أعضاء بوليوود ما حصل على أنه أكبر تحذير على الإطلاق: "إذا كان بإمكانهم فعل ذلك للملك، تخيل ما يمكنهم فعله بنا"

بحلول منتصف عام 2021؛ بعد سلسلة من عمليات الإغلاق، كان بانيرجي قد أنهى مرحلة ما بعد الإنتاج في العمل الدرامي المميز في جيله، وعرض أن يحذف بنفسه بعض الأشياء من الفيلم، حتى لا يمنح نيتفليكس فرصة للحذف أكثر من اللزوم. (وفقًا لمذكرة داخلية، تضمنت هذه التغييرات حذف صور العلم الهندي، كما اقترحت المذكرة أيضًا، "في إحدى اللقطات، يسير شخص في الخلفية أثناء النشيد الوطني، ويجب حذف ذلك الشخص").

وفي نهاية 2021؛ حصل تغيير في الخطة بعد أن عرض بانيرجي الفيلم على نيتفليكس، إذ قال: "كان هناك نقاش حول عرض الفيلم في أواخر عام 2022، لكن أحد المسؤولين التنفيذيين أخبرنا أنهم لا يستطيعون الالتزام بخطة العرض". (نفت نيتفليكس هذا الأمر).

وأصدرت الحكومة إرشادات جديدة لمنصات البث؛ حيث ألزمتهم، بسحب عرض أي برنامج أو فيلم في غضون ست وثلاثين ساعة في حال أمرت بذلك محكمة أو وكالة حكومية. وبينما استمرت نتيفليكس في التردد، شعر بانيرجي أنه لم يتبق أمامه سوى بعض الخيارات، حيث قال: "إما أن أنتظر إلى أجل غير مسمى حتى يتم الإصدار، أو أن ابحث عن منتج لديه مصلحة في عرضه في الهند، أمام الجمهور الذي قدّمت من أجله هذا الفيلم في الأساس، أو أن أبحث عن منتج سيعرضه في كل مكان آخر ما عدا الهند"؛ لقد كان الخيار الأخير: "فظيعًا للغاية، ولكنني لا أملك حرية الاختيار."

يندرج فيلم بانيرجي ضمن مجموعة متنامية من المحتوى الذي ترفض الإستوديوهات وصانعو الأفلام بثه؛ فقد أخبرني أحد المخرجين أنه صور قصة حب شخصين هربا من المنزل ليعيشا معًا، وقال: "لا أحد يريد عرض الفيلم لأنه "يصادف أن الصبي في هذه القصة مسلم والبنت هندوسية".

> صنف مسؤول تنفيذي سابق في أمازون برايم حالة الاستياء من المشاريع التي تم إيقافها على أنها بمثابة "صدمة" بالنسبة للكتاب والمخرجين الذين افترضوا أن منصات البث ستمنحهم الحرية والأموال لرواية القصص التي يريدونها، دون أي ضوابط وموازين.

ووفقًا لمصدرين؛ تم تجميد مسلسل قصير مبني على قصة "ماكسيميم سيتي"، وهو الكتاب غير الخيالي الشهير الذي يروي أحداث الشغب الدينية في مومباي عام 1992، لكن شركة الإنتاج أنكرت ذلك؛ وبدأ عرض فيلم "تاخت"، وهو فيلم رائع من إنتاج كاران جوهر في فترة المغول، تقريبا في عام 2018، وقد وصفه شخصان كانا يعملان في الفيلم بأنه عبارة عن احتفال بالقيم العلمانية، حيث يشتبهون في أن هذا هو السبب وراء توقف عرض الفيلم. (في العام الماضي، نفى جوهر أنه تخلى عن المشروع).

وأخبرني نيخيل أدفاني، الذي قدم مسلسلًا عن ظهير الدين بابر (مؤسس سلطنة المغول)، أنه لم يتعرض أبدًا لأي نوع من الرقابة، ولكن عندما سألته عما إذا كان يخطط لكتابة موسم عن نصير

الدين همايون، الإمبراطور المغولي الثاني للهند، قال: "لقد خططت لذلك بالفعل، لكن هذا الأمر لن يحدث".

وشن همايون حربا متواصلة على الملوك الهندوس، لكن أدفاني وجد أنه من الممل أن يظهره في صورة المسلم المتعطش للدماء، وعلى الرغم من وجود عقبات أخرى، مثل الأداء الضعيف للموسم الأول وقضايا الحقوق مع الكتاب المرجعي، أدرك أدفاني أن قصّة همايون الإنساني لا تستحق عرضها على أي منصة، حيث قال: "من المستحيل أن يسمحو لي بتقديم هذا العمل".

لقد سمعت صانعي الأفلام وهم يشبّهون ظروفهم بظروف نظرائهم الإيرانيين في عدة المرات، بلهجة حزينة ولكن أعتقد أنها كانت أكثر حزنا بعض الشيء، كما لو أنهم يأملون في أن يساعد ذلك على صقل موهبتهم الفنيّة؛ حيث صنف مسؤول تنفيذي سابق في أمازون برايم حالة الاستياء من المشاريع التي تم إيقافها على أنها بمثابة "صدمة" بالنسبة للكتاب والمخرجين الذين افترضوا أن منصات البث ستمنحهم الحرية والأموال لرواية القصص التي يريدونها، دون أي ضوابط وموازين.

إلى جانب ذلك، وصف مسؤول تنفيذي سابق في خدمة بث أخرى العديد من صانعي الأفلام هؤلاء بأنهم أشخاص اعتادوا أن يكونوا محط الأنظار دائمًا، وقال إن المواجهات الأخيرة مع القوة السياسية كانت مجرد صدمات نتيجة هذا الامتياز، لكن هذا ليس بالضرورة دحضًا للاعتقاد الذي يؤمن به العديد من الكتاب والمخرجين والمنتجين بأن سبب إيقاف عملهم يعود إلى سياساتهم. وقد سألت موظفا سابقا في نيتفليكس؛ لماذا توقف فيلم بانرجي فجأة، فاعترف أن "هناك خوف كبير، ولا أحد يريد المخاطرة سياسيًّا بعرض مشروع كهذا".

في المقابل؛ تمتلئ بوليوود بالأفلام والبرامج التلفزيونية التي تتماشى مع سياسة حزب بهاراتيا جاناتا. على سبيل المثال، هناك سلسلة توثّق كمينًا إرهابيًّا للقوات الهندية عام 2019 في كشمير، وفيلما عن فيناياك سافاركار، مهندس الشوفينية الهندوسية، وفيلم سيرة ذاتيّة عن ناتهورام جودسي، عضو منظّمة آر إس إس الذي اغتال غاندي. (وعد منتج الفيلم بأن الفيلم سوف "يستكشف عقلية ورحلة مناضل من أجل الحرية"، وذلك في إشارة إلى جودسي، وليس غاندي.)

يشارك اثنان من مؤيدي مودي، وهما الممثلان كانغانا رانوت وأنوبام خير، في فيلم حول زعيمة الكونغرس إنديرا غاندي وتعليقها للديمقراطية لمدة عامين، بين عامي 1975 و1977، وأراني أحد المخرجين مقطع فيديو مدته أربع دقائق تلقاه عبر واتساب، والذي كان إعلانًا تشويقيًّا لإنتاج فيلم حول فضيحة فساد في الكونغرس في الثمانينيات. قال المخرج إن المقطع يحتوي على دمج للقطات إخبارية قديمة ولقطات جديدة ببراعة، "فتشعر كأنهم لا يتبعون أي أجندة، ثم تكتشف عكس ذلك بعد قراءة أسماء الأشخاص المشاركين"، حيث يظهر في نهاية الفيديو شعار: إستوديوهات أنوبام خير.

> ينتمي سينغ إلى الظاهرة الأكثر شيوعا: منتج يريد أن تواكب أفلامه نجاحات الحزب؛ حيث قال سينغ إنه صنع فيلمه الرائع عن رئيس الوزراء، لأن "شخصية مودي تثير اهتمام الناس"

في أحد الأيام، قابلت سانديب سينغ، منتج الفيلم الذي يتحدّث عن مودي وفيلمي السيرة الذاتية المنتظرين عن جودسي وسافاركار؛ حيث عمل سينغ، الذي انتقل إلى مومباي في عام 1992، كصحفي سينمائي قبل دخول هذه الصناعة، وقد عبّر عن استيائه لعدم دعوته إلى احتفالات توزيع الجوائز، وكيف جعله ذلك يشعر بأنه لا ينتمي إلى بوليوود.

لا ينتمي سينغ إلى مجموعة المدافعين عن حزب بهاراتيا جاناتا، مثل خير والآخرين الذين يفعلون ذلك في كثير من الأحيان. في الواقع، ينتمي سينغ إلى الظاهرة الأكثر شيوعا: منتج يريد أن تواكب أفلامه نجاحات الحزب؛ حيث قال سينغ إنه صنع فيلمه الرائع عن رئيس الوزراء، لأن "شخصية مودي تثير اهتمام الناس"، بينما يستغل فيلمه عن سافاركار بالمثل النقاش العام الحاد حول أيديولوجي يميني يدافع عنه حزب بهاراتيا جاناتا ومنظمة آر إس إس، وقال سينغ إن سافاركار "بطل أسيء فهمه"، وقد تشوّهت سمعته من قبل السياسيين المتنافسين، وأضاف: "من المهم للغاية لشباب اليوم أن يتعرّفوا على ماضيهم".

تبين أن الأسبوع الأول الذي تواجدت فيه في مومباي كان فرصة للتعرّف على إصدارات بوليوود، وقد شملت الأفلام الجديدة فيلم "الرائد"، الذي كان يدور حول حياة ضابط بالجيش الهندي مات أثناء محاولته إنقاذ رهائن من فندق قصر تاج محل في مومباي، بعد أن استولى إرهابيون باكستانيون على المبنى، في عام 2008. وهناك فيلم آخر بعنوان "بريثفيراج"، تحدّث عن أمجاد حاكم هندوسي من القرن الثاني عشر، بريثفيراج تشوهان، الذي قُتل في معركة ضد محمد غوري. وتمت إضافة كلمة "Samrat" التي تعني "الملك" إلى العنوان في الساعة الحادية عشرة، بعد أن احتج أعضاء من مدافعي تشوهان على أن تسمية الفيلم "بريثفيراج" فقط لا تعبّر عن الاحترام الكافي، لكن الغريب في الأمر أن هذه المجموعة هي نفس المجموعة التي قامت بتخريب موقع تصوير فيلم "بادمافاتي".

شاهدت فيلم "بريثفيراج" في صباح يوم عرضه الأول، رفقة ناديني رامناث، الناقدة السينمائية التي تعمل لصالح موقع "سكرول إن"؛ حيث لعب أكشاي كومار الدور الرئيسي، وهو نجم أكشن متقدم في السن ذو وجه نحيف، ويقوم "بريثفيراج" على التقاليد الهندوسية وحاجة الهندوس إلى التمسك ببعضهم البعض. (مكّن الوضوح الذي تمتع به الفيلم من منحه إعفاءات ضريبية في العديد من الولايات التي يحكمها حزب بهاراتيا جاناتا.) وصوّر الفيلم حفل زفاف بريثفيراج مع الأميرة في قصره الرائع وبعض الأغاني والرقص، لكن معظم أحداث الفيلم تقع إما في المجالس الخاصة به مع المستشارين للتحدّث حول المعارك أو في مواقع المعارك.

في ذروة أحداث الفيلم مات بريثفيراج ولكن ليس قبل أن يعيد كتابة التاريخ من خلال قتل غوري، وفي الخاتمة وصف الفيلم بريثفيراج بأنه "آخر حاكم هندوسي في شمال الهند" (وهذه كذبة) ويتأسف على أنه بعد وفاته، لم تستعد الهند شرفها إلا عندما حصلت على استقلالها عن البريطانيين، في عام 1947، حيث قام هذا الخطاب باعتبار الحكام المسلمين الناشئين في الهند والمستعمرين الأوروبيين شيئًا واحدًا.

عند إضاءة الأضواء؛ لم يكن هناك سوى عشرات الأشخاص في المسرح، مقارنة بالعشرين شخصا

تقريبا الذين كانوا متواجدين في البداية. في الأسابيع التي أعقبت ذلك، أثبت فيلم "بريثفيراج" أنه فيلم فاشل من حيث الإيرادات، وهي الحقيقة التي استشهد بها لي بعض صانعو الأفلام بأسلوب يبعث على الأمل، كما لو كانوا يقولون إن اتباع كتاب القواعد الهندوسي القومي لا يضمن النجاح وأن أهواء الجمهور ستحبط في النهاية أي غزو أيديولوجي لبوليوود، لكن هذه الفكرة تتجاهل الحجم الهائل الذي تحتله أفلام مثل "بريثفيراج" وثقلها النفسي التراكمي، وتتغاضى عن الأفلام التي لم يتم إنتاجها، والقصص التي لم يتم سردها؛ حيث قال لي محمد زيشان أيوب: "الجانب المقلق هو أن الخوف يدفعك إلى التراجع، حتى تدوس على نفس الأشخاص الذين يجب أن تدافع عنهم".

المصدر: ذا نيويوركر

رابط المقال : https://www.noonpost.com/45457/